قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي للقرآن الكريم

بين المجيزين والمانعين

إعداد وتقديم

د. حمزة حسن سليمان صالح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

السودان

تلفون: 00249919609632

00971562520214

Email. abohosam699@gmail.com

ملخص البحث:

***Abstract***

الكلمات المفتاحية

**الإعجاز العلمي – التفسير العلمي – المجيزون - المانعون**

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن ختاماً لكتبه ورسالاته إلى البشر أجمعين، وأودع فيه من الأسرار مالا ينقضي وما لا ينتهي إلى يوم القيامة، الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة خالدة لخاتم الأنبياء والرسل، معجزة عقلية ذهنية علمية، معجزة اكتملت فيها كافة جوانب الإعجاز: في اللغة، في البيان، في الإخبار بما فات، وما يجري وما هو آت، معجزة احتوت من الأمور العلمية والمسائل الكونية والقواعد السياسية والأسس والكليات الاقتصادية والتفصيلات الاجتماعية والحقوق الإنسانية والنظم البشرية ما لا يستطيع أي مخلوق أن يأتي بمثله على مر الزمان، وسيظل القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة، وبرهانه الباقي، منذ نزل بين أناس فصحاء وعلى قوم بلغاء، ولطالما يتلى بين باحثين وعلماء.

أهداف البحث:

1. معرفة الأسس والقواعد التي تضبط الاجتهاد في بيان الإعجاز العلمي والتفسير العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.
2. ربط العلوم الكونية بالحقائق العلمية الإيمانية.
3. تنسيق الجهود المبذولة في العالم في مجال دراسات التفسير العلمي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية.
4. التوسع في فهم القرآن الكريم.

**أهمية الموضوع:**

تنبع أهمية الموضوع من أنه من الموضوعات المثارة في الأوساط العلمية المهتمة بالنواحي الإعجازية لتفسير كتاب الله تعالى، ومن ذلك:

1. دراسة ظاهرة الإعجاز العلمي والتفسير العلمي كحقيقة علمية وواقع ثقافي.
2. تجديد بينة رسالة الإسلام وأسلوب الدعوة.
3. تنشيط الباحثين بدافع إيماني، وترغيبهم في الإقبال على البحث في الحقائق الكونية.

**منهج البحث:**

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج إيجابية لدراسة هذا الموضوع أن أتبع المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وذلك بتحديد صور الاختلافات الجوهرية بين العلماء حول موقفهم من التفسير العلمي، وتحليل آرائهم التي ذكروها.

**خطة البحث:**

قسمت البحث إلى مقدمة: وشملت: أهداف البحث وأهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته، وثلاثة مباحث تحتها عدد من المطالب وخاتمة: شملت النتائج والتوصيات.

**المبحث الأول: تعريفات ومعان:**

**المطلب الأول: تعريف التفسير العلمي:**

لما كانت جملة التفسير العلمي مركب إضافي من كلمتين: (تفسير) و(علمي) فيقتضي العمل بمنهج البحث العلمي تعريف كل مفردة من هذا المركب الإضافي، ومن ثم تعريف المركب الإضافي.

**أولاً: تعريف التفسير لغة:**

فمما قيل في تعريف التفسير في اللغة؛ أنه يأتي بمعنى التوضيح والبيان؛ كما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس بقوله: "الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلُّ على بيان شيء وإيضاحه ")ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1420: 4/ 504).

، وقيل: "هو مصدر فسّر بتشديد السين، والفسر: الإبانة وكشف المغطى، والتفسير مثله، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل (الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة، 1426 هـ- 2005م، ص 411- وابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة- 1414 هـ 5/ 3421، مادة فسر). "ويراد منه الإيضاح والتبيين، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: {وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} [الفرقان: 33]، أي أحسن بياناً وتفصيلاً" (انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية:1384هـ-1964م،13/29).

**ثانياً: تعريف التفسير في الاصطلاح:**

قالوا في التعريف الاصطلاحي للتفسير بأنه: " علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"(الزركشي، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه:1/13).

**ثالثاً: تعريف العلم في اللغة:**

وقد وصف التفسير هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم. وعرف صاحب المصباح المنير العلم بقوله: " العلم: اليقين يقال علم يعلم إذا تيقن، وجاء بمعنى المعرفة أيضاً، كما جاءت بمعناه ضمن كل واحد معنى الآخر لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقاً بالجهل؛ لأن العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، وفي التنزيل {مما عرفوا من الحق}[المائدة: 83] أي علموا وقال تعالى {لا تعلمونهم الله يعلمهم}[الأنفال: 60] أي لا تعرفونهم الله يعرفهم وقال زهير: وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي" ( أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، - المكتبة العلمية- بيروت (2/ 427)).

وعند الخليل بن أحمد: العلم هو نقيض الجهل، قال في كتابه العين: " علم: علم يعلم علماً، نقيض جهل" ( الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري- العين- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال (2/ 152)).

**رابعاً: تعريف العلم اصطلاحاً:**

جاء تعريف العلم في تاج العروس بأنه: "الاعْتِقادُ الجازِمُ الثَّابِتُ المُطابِقُ للواقِع، أَو هُوَ صِفَةٌ توجِبُ تَمْييزًا لا يحتَمِلُ النَّقيضَ، أَو هُوَ حُصولُ صُورَةِ الشَّيءِ فِي العَقْلِ، والأولُ أخَصُّ"( مرتضى، الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس، مجموعة من المحققين، دار الهداية (33/127)).

وعرفه الجرجاني في كتابه التعريفات بقوله: " العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات، وقيل: العلم، وصول النفس إلى معنى الشيء، وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول، وقيل: عبارة عن صفةٍ ذات صفة (انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف- التعريفات- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة الأولى 1403هـ -1983م (ص: 155)، و أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت: ص 610). وفي الموسوعة القرآنية المتخصصة: "والأصل في معنى العلم عند العرب هو الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء" (مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الموسوعة القرآنية المتخصصة- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر وزارة الأوقاف، القاهرة:1423 هـ- 2002م، (1/ 692)).

ويُقصد بالعلم في هذا المقام: العلم التجريبي، وما يتعلق به من علوم الطبيعة الموجودة في الكون، مثل: الفيزياء، والكيمياء، وطبقات الأرض، وعلم الإحياء، وعلم البحار، وعلم الفلك، وغيرها.

**خامساً: تعريف مصطلح التفسير العلمي:**

إن مصطلح التفسير العلمي للقرآن الكريم من المصطلحات الحديثة في الأوساط العلمية، وهو يشير إلى تأويل بعض الآيات القرآنية أو تفسيرها بما يتفق وبعض النظريات العلمية أو الاكتشافات الحديثة، ولذلك اختلفت وجهات أنظار العلماء وأبناء المسلمين فيه.

قالوا في تعريف التفسير العلمي: هو الكشف عن تفاصيل معاني الآية في ضوء ما ثبتت صحته من نظريات العلوم الكونية التجريبية.

وقال الذهبي في التفسير والمفسرون: "نريد بالتفسير العلمي: التفسير الذى يُحَكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"( الذهبي، د. محمد السيد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة (2/ 349)).

وجاء تعريفه في المقدمات الأساسية في علوم القرآن: "التّفسير العلميّ: والمراد به تفسير الآيات الّتي تتحدّث عن الكون وخلق الإنسان ونحو ذلك، بما توصّل إليه العلم الحديث من اكتشاف واطّلاع على حقائق لم يهتد إليها عموم النّاس من قبل" ( الجديع العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م (ص: 390)).

وفي مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، قال: "يعد التفسير العلمي أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر. ويراد به: الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي- ونظرياته- في شرح آيات الطبيعة والإنسان- آدم وبنيه- والتي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى، ومواضع متعددة"( الجديع العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م (ص: 390)).

وهذا فهد الرومي يعرف التفسير العلمي بقوله: " يراد بالتفسير العلمي: اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم ومكتشفات العلم التجريبي والربط بينهما بوجه من الوجوه؛ وهذا تعريفه بما هو عليه، أما تعريفه بما ينبغي أن يكون عليه فهو: كشف الصلة بين النصوص القرآنية وحقائق العلم التجريبي"( فهد الرومي، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الثانية عشرة: 1424هـ - 2003م دراسات في علوم القرآن - (ص: 290)).

والفرق بينهما أن في الأول خلطًا بين النظريات والحقائق بحيث نجد كثيرًا من المفسرين يفسرون القرآن بهما من غير تحقيق، وما ينبغي أن يكون هو التمييز بين النظريات والحقائق والاقتصار على الثانية دون الأولى في تفسير القرآن الكريم".

**المطلب الثاني: معاني الإعجاز العلمي:**

وبما أن جملة الإعجاز العلمي جملة مركبة من كلمتين: (إعجاز) و(علمي) فيقتضي المنهج العلمي تعريف كل مفردة من الجملة، ومن ثم تعريف الجملة كاملة.

**أولاً: معنى الإعجاز لغة:**

جاء تعريف الإعجاز في كتاب العين بقوله: " عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزاً فهو عاجز ضعيف. قال الأعشى:

فذاك ولم يعجز من الموت ربه"( العين، مصدر سابق (1/ 215))

وقال ابن منظور: " العجز: نقيض الحزم؛ والعجز: الضعف، والمعجزة بفتح الجيم وكسرها: مفعلة من العجز: عدم القدرة، وفي الحديث: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز» (الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر "صحيح مسلم"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت صحيح مسلم- كتاب القدر، باب كل شئ بقدر-(4/ 2045))، وقيل أراد بالعجز: ترك ما يجب فعله بالتسويف)، فالإعجاز: هو جعل من يقع عليه أمر التحدي بالشيء عاجزاً عن الإتيان به، ونسبته إلى العجز، وإثباته له، فالإعجاز بالنسبة للمعجز هو الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي: فاتني، وَمِنْهُ قَوْلُ الأَعشى:

فَذاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الموتِ رَبَّه ... وَلَكِنْ أَتاه الموتُ لا يَتَأَبَّقُ

وبالنسبة للعاجز عدم القدرة على الطلب والإدراك (وقال الليث: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه"( لسان العرب- مادة (عجز) (5/ 370)).

**ثانياً: تعريف الإعجاز اصطلاحاً:**

في تعريفه للإعجاز يقول مناع القطان في كتابه: مباحث في علوم القرآن: " الإعجاز: إثبات العجز. والعجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشيء. وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم، والمعجزة: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة "( القطان، مناع بن خليل، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م، (ص: 265)).

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "إعجاز القرآن: عدم القدرة على محاكاته وامتناع الإتيان بمثله"( عمر، د أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ- 2008 م، (2/ 1459)). وذكر البوطي في معرض حديثه عن الإعجاز قوله: "أجمع عامّة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة أن القرآن معجز. فما معنى أنه معجز؟

لدينا في الجواب على هذا السؤال تعريفان للإعجاز، أحدهما هو المعتمد لدى جمهور العلماء والباحثين، والثاني تفرد به أبو إسحاق إبراهيم النظام (ت: 231) اللغوي والمعتزلي المعروف، ثم تبعه في ذلك بعض الناس من فرقته وجماعته.

فأما التعريف الأول، فهو أن القرآن قد سما في علوّه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله؛ سواء كان هذا العلو في بلاغته أو تشريعه أو مغيباته.

وأما التعريف الثاني فهو أن الله قد صرف قدرات عباده وسلب همّتهم وحبس ألسنتهم عن الإتيان بمثله. والفرق بين التعريفين، أن مصدر الإعجاز في التعريف الأول علوّ منزلة القرآن عن مستوى الطوق البشري، أما مصدره في التعريف الثاني فهو حبس القدرات وصرف الهمم عن معارضته وتقليده، أي فهو قد يكون، والحالة هذه، غير بعيد في منزلته البلاغية عن طاقة البشر، ولكن الله، تصديقا لنبيّه ولطفا به، صرف الناس عن تقليده ومحاكاته. "( البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل. مكتبة الفارابي- دمشق، صـ125).

ونطالع تعريف آخر للإعجاز في الاصطلاح في كتاب دراسات في علوم القرآن؛ الذي يقول: "هو عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي واستمرار البواعث"( دراسات في علوم القرآن- مرجع سابق، (ص: 263)).

ويستحسن في هذا المقام الاستشهاد بالحديث الطيب لمالك بن نبي وهو يتحدث عن الإعجاز من خلال الآية القرآنية في قوله تعالى" ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي"؛ حيث يقول: " ولا مانع إذن من أن نعيد النظر في معنى (الإعجاز) في ضوء منطق الآية الكريمة. وحاصل هذا أننا إذا عددنا الأشياء في حدود الحدث المتكرر، أي في حدود الظاهرة، فالإعجاز هو:

1 - بالنسبة إلى شخص الرسول: الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها.

2 - وهو بالنسبة إلى الدين: وسيلة من وسائل تبليغه.

وهذان المعنيان للإعجاز يضفيان على مفهومه صفات معينة:

أولاً: أن الإعجاز- بوصفه (حجة) لابد أن يكون في مستوى إدراك الجميع، وإلا فاتت فائدته، إذ لا قيمة منطقية لحجة تكون فوق إدراك الخصم، فهو ينكرها عن حسن نية أحياناً"( مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية- دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، (ص: 64)).

**ثالثاً: تعريف مصطلح الإعجاز العلمي:**

في تعريفها للإعجاز العلمي تقول الأمانة العامة لهيئة الإعجاز العلمي في كتاب الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً: " الإعجاز العلمي هو إخبار القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى"( الطيار، د مساعد بن سليمان - الإعجاز العلمي إلى أين- دار ابن الجوزي-الطبعة الثانية:1433هـ (ص:168)).

ويقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار: " إن تعبير الإعجاز العلمي للقرآن الكريم يُقصد به سبق هذا الكتاب العزيز بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره التي لم تتمكن العلوم المكتسبة من الوصول إلى فهم شيء منها إلا بعد قرون متطاولة من تنزُّل القرآن الكريم ..."( الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور زغلول النجار على الشبكة العنكبوتية).

ومن ضمن التوصيات الصادرة عن المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة؛ نجد تعريف الإعجاز العلمي بالآتي: " أما الإعجاز العلمي فهو: يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول-صلى الله عليه وسلم"( انظر: المعجزة العلمية في القرآن والسنة:17-18،33، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث:13 "توصيات المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة).

ويعرف الدكتور الزنداني الإعجاز العلمي بقوله: "... فإن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة هو إخبارهما بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول صلّى الله عليه وسلّم مما يظهر صدقه فيما بلّغ عن رب العزة سبحانه وتعالى"( عبد المجيد الزنداني، الإعجاز العلمي تأصيلا ومنهجا، مجلة الإعجاز، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد الأول صفر 1416هـ- يوليو 1995م).

**المطلب الثالث: التوافق والتباين بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:**

من خلال التعريف السابق لمعنى التفسير العلمي والإعجاز العلمي؛ نستمع للزرقاني وهو يذكر الفرق بينهما فيقول: " إن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم"( مناهل العرفان في علوم القرآن: 1/ 26 -27).

وقريب مما ذكره الزرقاني في التفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي جاء في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: " والفرقُ بين التفسيرِ العلميِّ والإعجازِ العلميِّ، هو أنّ التفسيرَ العلميَّ كشفٌ عن معانِي الآيةِ أو الحديثِ، في ضوءِ ما ترجَّحَتْ صحّتُه مِن حقائقِ العلومِ الكونيةِ. أما الإعجازُ العلميُّ فهو إخبارُ القرآنِ الكريمِ، أو السنّةِ النبويةِ بحقيقةٍ أثبتَها العلمُ التجريبيُّ أخيراً، وثبتَ عدمُ إمكانيةِ إدراكِها بالوسائلِ البشريةِ، في زمنِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم"( موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (1/ 14)).

وهذا الرأي ذهب إليه الدكتور عبد المجيد الزنداني عندما تحدث في التفريق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي.

وهذا الأستاذ الدكتور زغلول راغب النجار يفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي، فيقول: " إن التفسير العلمي للقرآن الكريم يقصد به أن يوظف أهل كل جيل كل المعارف المتاحة لهم في حسن فهم دلالة القرآن الكريم؛ أما بالنسبة للإعجاز العلمي، فلا يجوز لنا أن نوظف فيه إلا الحقائق العلمية القاطعة، لأن الإعجاز نريد به أن نثبت للناس مسلمين وغير مسلمين أن هذا القرآن العظيم الذي نزل على نبي أمي في أمة أمية قبل 1400سنة يحتوي من حقائق هذا الكون على ما لم يستطع الإنسان أن يتوصل إلى معرفته إلا بعد جهود مضنية وقبل عشرات السنين فقط"( مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة 1997 ص 48).

ويناقش محمد جبريل هذا القول في كتابه عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ فيقول: "وإذا كنا سنوافق هذا العالم الجليل على قوله، فلا بد من تحوُّط نسوقه بين يدي هذه الموافقة، وهو: أن المفسر للقرآن على هذا النحو، بل وكل مفسر ينبغي أن يصوغ عبارته بطريقة تفهم بأن ما قاله إنما هو فهمه من الآيات، الذي استطاع أن يتوصل إليه بعد أخذه بأدوات التفسير التي تؤهله لذلك، فلا يقطع بأن ما فهمه من الآية هو مراد الله تعالى منها"( جبريل، محمد السيد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة (ص: 61)).

**المبحث الثاني: موقف العلماء من قضية الإعجاز العلمي والتفسير العلمي:**

بعد ثورة المكتشفات العلمية في الغرب في جو معاد للدين منفلت منه، وما أوحت به هذه الحال إلى بعض أبناء المسلمين من أن دينهم هو سبب تخلفهم انتدب طائفة من العلماء لإبطال هذا الأمر المزيف، والتأكيد على أن الإسلام دين العلم ومن ذلك العلم التجريبي، وفي سبيل إثبات ذلك تكلموا في التفسير العلمي للقرآن، وأن كثيراً من المكتشفات العلمية الحديثة مضمنة في الكتاب والسنة.

واعتبروا ذلك فتحاً جديداً يساهم في خدمة تفسير القرآن، ودليلاً من أدلة إعجاز القرآن الكريم يخدم نشر الدعوة الإسلامية. وقابلتهم طائفة أخرى ترى أن التفسير العلمي للقرآن الكريم غير صحيح في منهجه، وضار بالدعوة الإسلامية، وينحرف بالقرآن عن غايته ويندفع به إلى مجالات لا تحمد عقباها (يراجع: التفسير والمفسرون:2/567، والآيات الكونية في ضوء العلم الحديث:37، وخلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين لمحمد الأمين ولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة). وبناءً على ذلك اختلفوا في التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن والسنة على قولين: قول معارض للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وفريق آخر يرى ألا مشاحة ولا غضاضة من التفسير العلمي.

والحقيقة المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن الاختلاف بين الفريقين واقع في أمر التفسير العلمي للقرآن وليس الإعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة؛ وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها. وبهذا يتضح أن الجميع يقول بالإعجاز العلمي في القرآن لكن منهم من قال بجواز التفسير العلمي ومنهم من منعه. ذلكم أن المؤيدين للتفسير العلمي والمعارضين له أيضًا كلهم بلا استثناء يقرون ويعترفون أن القرآن الكريم لم ولن يصادم حقيقة علمية ثابتة.

وعن بدايات ظهور مصطلح الإعجاز العلمي ندرك أن العلماء اتفقوا على أن الإمام الغزالي المتوفى سنة 505هـ من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير وعلى هذا فيكون ظهوره على وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري، واتفقوا أيضًا على أن الغزالي نفسه أكثر من استوفى بيان هذا القول إلى عهده، ومما لا شك فيه أن الغزالي لم يكن وحيدًا في الميدان يجول ويصول فقد نزل معه أنصار ونازله خصوم وما زالت المعركة قائمة لم يهدأ لها بال ولم تقعد لها قائمة وانقسموا إلى فريقين أو ثلاثة: المؤيدون للتفسير العلمي- المعارضون- المعتدلون(انظر: دراسات في علوم القرآن- فهد الرومي (ص: 291)، التفسير معالم حياته: أمين الخولي ص20، والتفسير والمفسرون: الذهبي ج3 ص140، ولمحات في علوم القرآن: محمد الصباغ، ص203، والتفسير العلمي للقرآن الكريم: عبد الله الأهدل، ص185، واتجاهات التفسير في العصر الراهن: عبد المجيد المحتسب. ص247، وغيرهم).

**المطلب الأول: موقف المعارضين لمبدأ التفسير العلمي:**

ومن المعارضون للتفسير العلمي: أبو حيان الأندلسي، والشاطبي، ومحمود شلتوت، وأمين الخولي، وسيد قطب وغيرهم(انظر: دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: 293)). ومن أدلتهم:

**الدليل الأول:** أن القرآن الكريم كتاب هداية، وأن الله لم ينزله ليكون كتاباً يتحدث فيه إلى الناس عن نظريات العلوم، ودقائق الفنون، وأنواع المعارف، وإنما القرآن في تناوله لتلك الحقائق العلمية يهدف إلى ما هو أعظم من ذلك بكثير، وهو هداية ودلالة الخلق للإيمان بالله -عز وجل- وعبادته وحده لا شريك له (انظر: الموافقات: 2/ 112، 127، مناهل العرفان في علوم القرآن: 2/ 275)، قال تعالى: {طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (1) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}[النمل: 1-2].

**الدليل الثاني:** أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا قلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم، وألفاظه محتملة لهذه المعاني المستحدّثة، للزم أن من أنزل عليهم القرآن يجهلون هذه المعاني(انظر: الآيات الكونية: دراسة عقدية، (ص: 131)).

**الدليل الثالث:** "أن التفسير العلمي للقرآن والسنة يعرضهما للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا القرار ولا الرأي الآخر، وقد اعترف علماء المادة في هذا القرن: بأن العلوم المادية لا تعطى إلا علما جزئياً عن الحقائق"( وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11: 23)، بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية، القارة، الثابتة، المنزلة من عند الله الذي وسع علمه كل شيء.

**الدليل الرابع:** قالوا في جوابهم عن الاستدلال بقوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]، أنه يشمل جميع العلوم: وأن المراد بالكتاب في الآية: اللَّوح المحفوظ، ولم يذكر المفسرون في معناها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية (انظر: تفسير الطبري: 7/ 219، تفسير القرطبي: 6/ 420، تفسير ابن كثير: 2/ 135).

**الدليل الخامس:** أن التفسير العلمي للقرآن يحمل أصحابه والمغرمين به على التأويل المتكلف، واللهث وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، ثم يؤدي ذلك في الوقت القريب أو البعيد إلى صراع بين العلم والدين.

**الدليل السادس:** قالوا: أنه ينبغي الاستفادة من النظريات العلمية دون إقحامها على القرآن الكريم أو اعتبار أن القرآن مطالب بموافقتها كلما تغيرت من زمن إلى زمن ومن تفكير إلى تفكير(انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن:2/275، والفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة: ص 10، وتفسير القرآن لمحمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة، ط12: 13- 14).

**الدليل السابع:** "إن التفسير العلمي مدعاة إلى الزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه من المعاصرين؛ لأن عملية التوفيق تفترض غالبًا محاولة للجمع بين موقفين يتوهم أنهما متعاديان ولا عداء، أو يظن أنهما متلاقيان ولا لقاء"( معالم الشريعة: د. صبحي الصالح ص290).

**الدليل الثامن:** "إن تناول القرآن بهذا المنهج يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة فيتعجل تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلًا غير مشروع"( دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: 294)).

**الدليل التاسع:** "إن ما يكشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض قابلة دائمًا للتغيير والتبديل، والتعديل، والنقض، والإضافة بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب، ومن ثم فلا يصح أن نعلق الحقائق القرآنية النهائية بمثل تلك النظريات حتى لا نقف محرجين عند ثبوت بطلان تلك النظرية"( المرجع نفسه (ص: 294)).

يقول الدكتور محمود شلتوت في تفسيره: وعلى هذا يمكن أن يقال: إن التفسير العلمي للقرآن مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت ولم تستقر ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية. ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن لغته العربية. ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً وتجعل القرآن تبعاً. ومرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر أو دلت عليه السنة الصحيحة(انظر: تفسير القرآن لمحمود شلتوت: 11 - 14).

**المطلب الثاني: موقف المجيزين للتفسير العلمي والإعجاز العلمي:**

وممن اشتهر من المؤيدون للتفسير العلمي: الإمام الغزالي، الفخر الرازي، الزركشي، السيوطي، البيضاوي، نظام الدين النيسابوري، ومن المعاصرين الألوسي، وطنطاوي الجوهري، والإسكندراني، والكواكبي، ومحمد فريد وجدي، والرافعي، والقاسمي وغيرهم. ومن أدلتهم:

**الدليل الأول:** الاستدلال بظاهر عموم بعض الآيات: كقوله تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام: 38]، وهذه العلوم داخلة في عموم الآية، وقوله سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: الآية 89]، وقوله تعالى: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} [ق: الآية 6]، وقوله سبحانه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: 53]، وغير ذلك من الآيات الداعية إلى التفكر والتدبر في خلق الله عز شأنه.

**الدليل الثاني:** الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحاديث والآثار؛ كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن الحمر الأهلية - عن صدقتها- فقال: «ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة (الفازة: المنفردة في معناها، والفذُّ: الْوَاحِدُ، لسان العرب (3/ 502)، وفَاذَّة: شَاذَّةٌ. تاج العروس (9/ 452)

): {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[ الزلزلة: 7- 8]» (البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الجامع المسند الصحيح المختصر "صحيح البخاريـ"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب المساقاة، باب شرب الناس والدواب من الأنهار: 445 برقم (2317))، وقالوا: هذا نص يشهد أن كل ما دخل تحت نص قرآني عام يعتبر قد نص عليه القرآن (وجدي، محمد فريد، الإسلام في عصر العلم الكتاب اللبناني، بيروت، ط3: 369).

**الدليل الثالث:** بعض الآثار الواردة عن السلف مثل قول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: «مَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيُثَوِّرِ(تثوير القرآن: قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. انظر: تهذيب اللغة: 15/ 80.ولسان العرب (4/ 110)) الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عَلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» (أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة (9/ 136)).

**الدليل الرابع:** أن القرآن هو حجة الله البالغة على عباده أجمعين، وهذه الحجة قائمة إلى يوم الدين، والإعجاز العلمي والتفسير العلمي في هذه الحجة يعجز الملحدون عن أن يجدوا فيه موضعاً للتشكيك لأنه دليل عقلي محسوس.

**الدليل الخامس:** وقالوا: إن الله سبحانه وتعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالهم جائزًا لما ملأ الله كتابه منها(انظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الثالثة- 1420هـ:ج4، ص121).

**الدليل السادس:** قالوا: **إن** القرآن الكريم يحتوي على كثير من الآيات الكونية، ويتوقف على فهمها في ضوء الحقائق العلمية تيسير الدعوة إلى دين الله في هذا العصر، عصر العلم(انظر: الإسلام في عصر العلم: 222).

**الدليل السابع:** "إن العلم الحديث قد يكون ضروريًّا لفهم بعض المعاني القرآنية، وليس هناك ما يمنع من أن يكون فهم بعض الآيات فهمًا دقيقًا متوقفًا على تقدم بعض العلوم، فتكون الحقيقة العلمية من قواعد الترجيح في التفسير إذا كان للآية أكثر من معنى فيتعين أن يؤخذ بالمعنى الذي تؤيده الحقائق العلمية"( دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص:293)).

**الدليل الثامن:** تحقق فوائد كثيرة ومنافع كبيرة من التفسير العلمي، منها:

أ- إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن الكريم بإثبات التوافق بين حقائق القرآن الكريم وحقائق العلم.

ب- استمالة غير المسلمين إلى الإسلام وإقناعهم به ببيان إعجاز القرآن العلمي، وإقامة الحجة عليهم بذلك.

ج- امتلاء النفوس إيمانًا بعظمة الله جل جلاله وعظيم سلطانه وقدرته بعد الوقوف على أسرار الكون التي كشفها القرآن"( فهد الرومي، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 5/8/1406 الطبعة الأولى: 1407هـ- 1986م، ج2، ص602).

**المطلب الثالث: التوفيق بين موقف المعارضين والمجيزين:**

بعد أن وقفنا فيما مضى على أقوال أهل العلم وموقفهم من التفسير العلمي للقرآن الكريم وبالتأمل في القولين السابقين؛ يتضح لنا أن المجيزين للتفسير العلمي والقائلين به من أهل العلم لا يريدون شيئاً إلا أن يثبتوا للعالم أجمع أن القرآن من عند الله، وأن منزله هو خالق الكون الذي وسع علمه كل شيء، وقد ضمنه هذه الحقائق العلمية، وأنهم بقدر ما يفعلون من ذلك يضيفون إلى أمجاد القرآن أمجاداً، وإلى براهين صدقه شيئاً جديداً.

أما المعارضين له فيقولون: إن المقررات العلمية تكون عرضة للتبديل والتغيير، وهم لا يريدون أن يربطوا القرآن وتفسيره بعجلة المتغير، وكفى القرآن شرفاً ومجداً أنه حث على العلم والبحث والنظر ولم يقف حجرة عثرة في سبيل التقدم العلمي والفكري (انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن:1/25، والعقاد، عباس محمود، الفلسفة القرآنية، دار الهلال بمصر،1962م).

وليعلم المسلمون أن كتاب الله غني في إثبات صدقه عن العلوم الطبيعية التجريبية، لما فيه من النور والهدى، والشرائع الكاملة، والفصاحة البالغة، وغيرها من أوجه الإعجاز التي عدها العلماء (انظر: التفسير والمفسرون: 2/ 493، ومناهل العرفان في علوم القرآن: 2/ 275 - 276).

وليس باللازم أن كل حقيقة علمية أو كل معلومة علمية تجد لها في القرآن أصلاً؛ لأن القرآن لم يوضع لهذا. ومما يجب على كل مسلم أن يعتقده ويدين به؛ هو أن القرآن كلام الله والكون خلق الله، ولا يمكن أن يتعارض كلامه وخلقه، لذا يقول تعالى: {أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف:54]. وبذلك يضمن المسلم سلامة دينه، ويقينه في كتاب ربه، ولا يحمل القرآن كل نظرية علمية حديثة ويقارنه بها.

ولذا فلابد من هذه القاعدة الأصلية الراسخة وهي أنه: لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة إلا إذا أخطا الناس في فهم الآية القرآنية أو جهلوا الحقيقة العلمية؛ لأنه لا تعارض بين القرآن والعلم مطلقاً. وكل ما يقال فيه أنه مخالف للحقائق العلمية فإنه لا يعدو أن يكون أحد الاحتمالات التالية:

1- إما أن يكون الذي نسب إلى العلم لم يصل إلى مرحلة العلم المقطوع به، كالنظريات التي لم تتأكد بعد، أو التي لا سبيل إلى إثباتها بأدلة علمية يقينية.

2- وإما أن يكون النص غير صحيح.

3- وإما أن يكون الفهم الذي فهم منه النص فهم خاطئ، أو حمل عباراته على اصطلاحات لفظية حادثة (انظر: عبد المجيد العرجاوي، البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، دار وحي القلم، دمشق، ط1: 20).

أما أن يكون النص قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، ثم يخالف الحقيقة والواقع فهذا غير موجود حتماً، وليس من الممكن أن يوجد قطعاً.

ويستحسن في هذا المقام الاستشهاد بما جاء في كتاب عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم بقوله: "على أننا نود أن ننبه هنا إلى أمرين على جانب كبير من الأهمية:-

أولهما: أنه لن يكون هناك تعارض أو تناقض بأي حال، ولا من أي نوع بين أي نص قرآني صريح في دلالته، وبين أي حقيقة علميه بلغت يقين المعاينة، والمشاهدة، ضرورة أن خالق الكون سبحانه هو منزل القرآن الكريم، ولن يكون تناقض أبداً بين قول الله تعالى وبين خلقه {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الملك:14) .

ثانيهما: أن القرآن الكريم في الأساس كتاب هداية، أنزله الله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء:9] . {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [إبراهيم:1]"( عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - محمد السيد جبريل (ص: 62)).

تلك هي مهمة القرآن الأصلية، وقد وضحت سبل الهداية فيه: في عقائده وتشريعاته، وكانت مظاهر القدرة في الآيات الكونية فيه- كما بيننا -وسيلة من وسائل الاحتجاج للحق الذي جاء به.

**المبحث الثالث: قواعد وأسس وضوابط التفسير العلمي والإعجاز العلمي:**

إن للتفسير العلمي شروطًا وقيودًا قررها العلماء ينبغي الالتزام بها فلا يكون تفسير القرآن مباحًا لكل من حصل علمًا من العلوم وغابت عنه علوم أخرى لا بد منها للمفسر. وقد وضع المجيزون لهذا النوع من التفسير العلمي بعض الضوابط والحدود، - وإن كان بعضهم لم يلتزم بها-، منها:

**المطلب الأول: شروط وقواعد أساسية:**

1. أول هذه الشروط أن لا يفسّر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات العلمية إلى مقام اليقينيات أو الفعل الواقع القائم، والذي لا يمكن أن يتطرق إليه التغيير والتبديل(انظر: موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص 184 دار المعارف 1977 م). وهذا ما أكده الدكتور: زغلول النجار بقوله: " عدم الاعتماد على النظريات والفروض العلمية في (الإعجاز العلمي) مع إمكانية تغليب أحد النظريات أو الفروض العلمية في (التفسير العلمي)، والارتقاء بها في حالة موافقتها لوجه تحتمله آية قرآنية أو حديث شريف، وذلك في قضية لم يتم اكتشافها بعد(مجلة (القافلة) : العدد 7، المجلد:43 رجب سنة 1415هـ‍-ديسمبر: 1994، مقال بعنوان: " "من آيات الإعجاز العلمي في القرآن" أ.د. زغلول النجار: ص 4). ونطالع في هذا الاتجاه تعليق الشيخ الزنداني لتوضيح هذا الشرط بقوله: إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص وبين نظرية علمية، رفضت هذه النظرية، لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علماً، وأن هنالك نصوصاً من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هنالك حقائق علمية كونية قطعية، وهنالك نصوص من الوحي ظنية الدلالة، كما أن هنالك نظريات في العلم ظنية في ثبوتها. وأنه لا يمكن أن يقع تعارض بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر، فلا بد أن هنالك خللاً في ثبوت قطعية أحدهما. وإذا وقع التعارض بين حقيقة علمية قطعية وبين حديث ظني في ثبوته أو آية ظنية في دلالتها فيؤول الظني ليتفق مع الحقيقة العلمية، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيقدم القطعي(الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً- الشيخ عبد المجيد الزنداني).
2. عدم الخوض في أمور غيبية غيبة مطلقة كالذات الإلهية، والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث والحساب، والميزان والصراط، والجنة والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً كاملاً، انطلاقاً من الإيمان الكامل بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقيناً راسخاً بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.
3. الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة ـ مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيميائية الدقيقة ـ إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات وجه الإعجاز (http://www.elnaggarzr.com/print.php?l=ar&id=878&cat=29).
4. أن يدل نص الكتاب أو السنة على الحقيقة العلمية بطريق من طرق الدلالة الشرعية، وأن لا يخالف أصلاً في الشرع، وأن لا يتذرع به لنصرة بدعة (انظر: التفسير العلمي للقرآن في الميزان: 471، وتقديم عبد المعطي البيومي لكتاب الموسوعة الكونية الكبرى لماهر ابن أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1: 33).
5. البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن.
6. " أن لا تذكر التفسيرات العلمية على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان"( مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص58، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم).
7. أن لا تُجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضها رفض، وإلى هذا أشار الشيخ الزنداني بقوله: إن علم الله تعالى هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، ومعرض للخطأ، ويقبل الازدياد (انظر: الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً- الشيخ عبد المجيد الزنداني).

**المطلب الثاني: أسس وضوابط عامة:**

أما أهم الأسس والضوابط العامة للتفسير العلمي فيمكن تلخيصها فيما يأتي:

1. الالتزام بحدود ما تعطيه الألفاظ القرآنية في استعمالاتها العربية، وعدم تحميل الألفاظ فوق ما يمكن أن تحتمل بحسب وضعها اللغوي، والاستعانة على التفسير بعلوم النحو، والصرف، والبلاغة، وغيرها مما يدخل في علوم العربية وعلوم القرآن الكريم. فإذا لم أفهم من اللغة ما معنى نطفة، أو مضغة، أو علقة، أو عظام، أو كسوة العظام لحماً، فلن أفهم ما هي دلالات الآية، فاللغة شرط أساسي لفهم دلالات الآيات.
2. جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية إن وجدت، ولابد عند تفسيرها من فهم التفسير المأثور عن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى الزمن الحاضر، بالإضافة إلى جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد وردِّ بعضها إلى بعض.
3. ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.
4. أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.
5. أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية (انظر في ذلك: التبيان في أقسام القرآن: 1/168. الآيات الكونية دراسة عقدية (ص:136). دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص: 297). خلاصة بحث التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين: 102).

هذه بعض الأسس والضوابط، والتي بمراعاتها ينضبط البحث في هذا المجال، ويسلك فيه سبيل القصد دون قصور أو شطط، وإذا لم تراع هذه الضوابط فقد يقع الإنسان في التكليف والقول على الله تعالى بغير علم وهو مما حرمه الله سبحانه، فقال: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ [الأعراف:33].

**الخاتمة والنتائج:**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على نبينا محمد المبعوث بالهدى والبيّنات، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد

فالذي أدركه الباحث من خلال دراسته لقضايا التفسير العلمي للقرآن الكريم؛ أنّ مثل هذا النوع من الدراسات مما يُحتاج فيه إلى جهود كبيرة تعمل بصفة مشتركة ومقسّمة بين جمع من الباحثين ممن لديهم القدرة على دراسة مسائل منثورة لا يجمعها موضع واحد، وهو من العلوم المشتركة والمتعلّقة بسائر الفنون على اختلافها، وتنوّع اختصاصاتها، وقد واجه الباحث بسبب ذلك بعض الصعوبات التي لم تكن لتذلَّل لولا فضل الله ، وقد توصلت من خلال دراسة قضايا الإعجاز العلمي والتفسير العلمي إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

1. يعد التفسير العلمي أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر. ويراد به: الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي ونظرياته.
2. الإعجاز العلمي يعني تأكيد الكشوف العلمية الحديثة الثابتة والمستقرة للحقائق الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة بأدلة تفيد القطع واليقين باتفاق المتخصصين.
3. الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي: إن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو تفاصيلها، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة علمية أثبتها العلم أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم.
4. الحقيقة المهمة التي يجب الإشارة إليها هنا أن الاختلاف بين المجيزين والممانعين للتفسير العلمي والإعجاز العلمي واقع في أمر التفسير العلمي للقرآن وليس الإعجاز العلمي، فالأول هو مثار البحث والمناقشة؛ وأما الثاني فقضية مسلمة لا نزاع فيها.
5. من أهم ضوابط التفسير العلمي أن لا يفسّر القرآن إلا باليقينيات العلمية، أو بالحقائق الثابتة التي ارتقت من درجة الفروض والنظريات العلمية إلى مقام اليقينيات أو الفعل الواقع القائم.

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

**المصادر والمراجع**

الموقع الرسمي للأستاذ الدكتور زغلول النجار على الشبكة العنكبوتية.

الموسوعة القرآنية المتخصصة- مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر وزارة الأوقاف، القاهرة:1423 هـ- 2002م.

من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل. البوطي، د. محمد سعيد رمضان، مكتبة الفارابي- دمشق.

المقدمات الأساسية في علوم القرآن، الجديع العنزي، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001 م.

مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة الثالثة- 1420هـ.

معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1420.

الأسلوب الصحيح عندنا:

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، القزويني، الرازي. تحقيق: عبد السلام هارون. 1420ه. معجم مقاييس اللغة. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل.

معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات: المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، د أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ- 2008 م.

معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، د أحمد مختار عبد الحميد بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429 هـ- 2008 م.

المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة .

المعجزة العلمية في القرآن والسنة:17-18،33، توصيات المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة"، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

معالم الشريعة: د. صبحي الصالح

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية- بيروت.

المسند الصحيح المختصر "صحيح مسلم"، الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، زرزور، عدنان محمد، دار القلم / دار الشاميه - دمشق / بيروت، الطبعة الثانية، 1419 هـ - 1998 م.

مجلة كلية أصول الدين، العدد الثاني ص58، مقال: نظرات في مدرسة التفسير الحديثة. د. مصطفى مسلم.

مجلة الإعجاز، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد الأول صفر 1416هـ- يوليو 1995م.

مجلة (القافلة) : العدد 7، المجلد:43 رجب سنة 1415هـ‍-ديسمبر: 1994، مقال بعنوان: " "من آيات الإعجاز العلمي في القرآن" أ.د. زغلول النجار.

18-مجلة (العلميون) عدد يونيو سنة 1997

19- مباحث في علوم القرآن، القطان، مناع بن خليل، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 1421هـ- 2000م.

20- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة- 1414 هـ.

21- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة الثامنة، 1426 هـ- 2005م، ص 411-

22- الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة.

23- العين-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري- المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي- دار ومكتبة الهلال.

24- عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم - جبريل، محمد السيد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

24- الظاهرة القرآنية- مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان.

26- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، دار المعارف 1977 م

27- دراسات في علوم القرآن، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الثانية عشرة: 1424هـ - 2003م.

28- الجامع لأحكام القرآن "تفسير القرطبي"، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة الثانية:1384هـ-1964م.

29- الجامع المسند الصحيح المختصر "صحيح البخاري"، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ،.

30- جامع البيان في تأويل آي القرآن- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري -المحقق: أحمد محمد شاكر: مؤسسة الرسالة- الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

31- التفسير والمفسرون، الذهبي، د. محمد السيد حسين، مكتبة وهبة، القاهرة.

32- تفسير القرآن لمحمود شلتوت، دار الشروق، القاهرة.

33- تفسير القرآن العظيم "تفسير ابن كثير"، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع-الطبعة الثانية: 1420هـ - 1999 م.

34- التفسير العلمي للقرآن الكريم بين المجيزين والمانعين لمحمد الأمين ولد الشيخ، ضمن كتيب تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أبحاث المؤتمر العلمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، رابطة العالم الإسلامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

35- التعريفات-الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف- دار الكتب العلمية بيروت –لبنان- الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.

36- التبيان في أقسام القرآن.

37- تاج العروس، مرتضى، الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، مجموعة من المحققين، دار الهداية.

38- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، 1376هـ-1957م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

39- البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية، عبد المجيد العرجاوي، دار وحي القلم، دمشق، ط1

40- الإعجاز العلمي إلى أين- الطيار، د مساعد بن سليمان - دار ابن الجوزي-الطبعة الثانية:1433هـ.

41- الإسلام يتحدى، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11

42- الإسلام في عصر العلم، وجدي، محمد فريد، الكتاب اللبناني، بيروت، ط3.